المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

الغزو الثقافي وهوية المراة المسلمة

أ.د. غادة علي هادي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
ghada.ali@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. عهود سامي هاشم
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

ملخص
يهدف هذا البحث لتعريف تاثير الغزو الثقافي على هوية المراة المسلمة مع بيان اشكال الغزو الثقافي ولتحقيق مرمى البحث اتبعت الباحثتان المنهج الوصفي لملاءمته لطبيعة البحث الحالي وجاء البحث بثلاث مباحث خصص الاول منها للتعريف بالبحث وجاء الثاني لبيان الغزو الثقافي واشكاله وهوية المراة المسلمة بينما خصص الثالث لعرض نتائج البحث والتوصيات والمقترحات .

المبحث الاول / التعريف بالبحث

مشكلة البحث

مع التقدم الذي شهده العالم في العقود الأخيرة فقد واجهت المجتمعات مجموعة من التغيّرات الحضارية والثقافية بتاثير العولمة وثورة الاتصالات الرقمية، فلم يعد الاطلاع على الثقافات الأخرى محدوداً ولا صعباً كما كان سابقاً بل صار الفرد يرتبط يوميًا بفضاء كوني مفتوح باستعمال المنصات الرقمية، والإعلام المرئي، وباقي أدوات "الصناعة الثقافية". التي تقوم في جوهرها على منطق الهيمنة الثقافية، أي السعي لفرض نموذج ثقافي واحد مهيمن، غالبًا ما يكون النموذج الليبرالي الغربي بقيمه الفردانية والاستهلاكية.

وتتعرض المرأة المسلمة لهذا الغزو الثقافي، كونها ركيزة الأسرة، وعنصرًا رئيساً في عملية التنشئة الاجتماعية ونقل القيم للأجيال، فضلًا عن كونها رمزًا لهوية المجتمع وقيمه. لذا فإن إعادة تشكيل صورة المرأة، وأدوارها، ومعايير جمالها، وطريقة حضورها في الفضاء العام، لا تُعدّ مجرد تغيير في "شكل الحياة"، بل تمسّ بنية الهوية الدينية والثقافية للمجتمع كله.

واكدت العديد من الدراسات أن العولمة الثقافية تُحدث ضغوطًا حقيقية على الهوية الثقافية للمجتمعات، وتجعلنا نتساءل عن قدرتنا على التكيّف مع التغيرات العالمية مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية. فالمرأة المسلمة تعيش هذه الضغوط والتحديات بصورة مركّبة، بحكم تقاطع أدوارها الأسرية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية، مما يجعلها عرضة لأزمات هوية متعدّدة الأبعاد.

من هنا تبرز الحاجة إلى البحث عن الغزو الثقافي وتحديات الهوية لدى المرأة المسلمة ويمكن صياغة مشكلة البحث في الاسئلة الاتية:

1. ما مفهوم الغزو الثقافي؟
2. ما أبرز اشكال الغزو الثقافي والياته وأدواته الموجّهة نحو المرأة المسلمة؟
3. ما أبعاد الهوية لدى المرأة المسلمة في ضوء التصورات النفسية والمرجعية الإسلامية؟

اهمية البحث:

يمكن اجمال اهمية البحث الحالي بما ياتي:

1. إثراء الأدبيات العربية حول موضوع الغزو الثقافي والمراة المسلمة من الربط بين مفاهيم: العولمة، الغزو الثقافي، الهوية، المرأة المسلمة. اذ يقدّم إطارًا تكامليًا بين التصوّر الإسلامي للهوية بحسب دراسات الهوية الدينية والثقافية المعاصرة، وبين منظورات علم النفس حول الهوية وأزماتها.
2. اهمية دراسة الغزو الثقافي وتحديات الهوية لدى المرأة المسلمة في ظل التحولات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر، اذ باتت المرأة في قلب الصراع الثقافي بين قيم العولمة والمرجعيات الدينية والاجتماعية الأصيلة.
3. قد يسهم هذا البحث في الكشف عن الآليات النفسية التي تدفع المرأة إلى تبني بعض القيم الوافدة دون وعي، أو الوقوع في صراع داخلي بين ما تتلقاه من رسائل إعلامية وثقافية وبين ما تحمله من قناعات دينية واجتماعية.

هذا الصراع بين الهوية المجتمعية الراسخة والهوية الوافدة الجديدة قد ينعكس على الصحة النفسية فيترجم بمشاعر القلق، أو الاغتراب، أو انخفاض تقدير الذات، أو فقدان المعنى.

4. يسهم هذا البحث في تقديم بعض المقترحات التي تسهم في رسم السياسات التربوية والإعلامية لاحتياجات المرأة المسلمة، وتدعم الجهود المجتمعية في بناء بيئة ثقافية آمنة تحفظ قيمها وهويتها، وفي الوقت نفسه تمنحها القدرة على التفاعل الواعي مع العالم الحديث.

تحديد المصطلحات:

الغزو الثقافي :

- الجهود والممارسات التي يبذلها مجتمع مهيمن سياسيًا أو اقتصاديًا لفرض جوانب مختلفة من ثقافته الخاصة على مجتمع آخر غير مهيمن؛ مثل العادات والتقاليد، والدين، واللغة، والأعراف الاجتماعية، والأخلاقية، والجوانب الأخرى للأنظمة الاقتصادية والسياسية التي تُشكل المجتمع المهيمن. 1. الغزو الثقافي:
- إجرائيًا: هو مجموعة من العمليات المنظمة التي تستهدف التأثير العميق في منظومة القيم والرموز والمعاني والسلوكيات في مجتمعٍ ما، باستعمال وسائل الإعلام والاتصال والمناهج والمنتجات الثقافية، بما يؤدي إلى تبنّي الفرد لأنماط حياة وقيمٍ وافدة تضعف انتماءه لهويته الدينية والحضارية.

المبحث الثاني /الغزو الثقافي واثاره على المراة المسلمة

يمكن القول ان الغزو الثقافي يتمثل بانتشار نموذج ثقافي معيّن عبر العالم، بحيث يؤثر في أنماط التفكير والقيم والرموز وأنماط الاستهلاك والملبس واللغة. ويمكن القول ان الغزو الثقافي الوجه القيمي – الأيديولوجي ليس تبادل ثقافي متكافئ، بل عملية غير متوازنة يكون فيها طرفٌ مهيمن يصدّر قيمه وصوره النمطية ورؤيته للإنسان وللحياة، في حين يتلقّى الطرف الأضعف هذه الرسائل في غياب قدرة كافية على النقد والتمحيص.

يعدّ الغزو الثقافي أحد أبرز المفاهيم التي اثرت في المجتمعات بالعصر الحديث، خاصة في ظل انتشار مفهوم العولمة التي أعادت تشكيل العلاقات بين الشعوب والثقافات على نحو غير مسبوق. ففي حين تُقدَّم العولمة بوصفها إطارًا للتواصل الاقتصادي والمعرفي والتكنولوجي بين الأمم، فإنها تخفي في جوهرها عمليات تأثير ثقافي عميقة يتجاوز فيها النموذج الغربي حدودَه الجغرافية ليُعاد إنتاجه في المجتمعات الأخرى عبر الإعلام، والاقتصاد، والتكنولوجيا، وأنماط الاستهلاك.

لذا ينظر للغزو الثقافي كونه تدفّقًا موجّهًا للقيم والمعايير والسلوكيات يهدف إلى فرض نموذج ثقافي مهيمن، وإضعاف الخصوصيات الثقافية المحلية عبر استبدالها برؤى وتصورات وافدة، غالبًا ما تُقدَّم بوصفها معيارًا للحداثة والتقدم.

ولم يعد الغزو الثقافي عملية مباشرة أو صريحة كما كان في الماضي، بل أصبح غزوًا ناعمًا يعمل بأدوات جاذبة مثل السينما، والموسيقى، والمنصات الرقمية، والموضة، والمحتوى التفاعلي، والمؤثرين، وهو ما يجعل تأثيره أكثر خفاءً وعمقًا. فالعولمة الرقمية أتاحت تدفقًا هائلًا للرموز والمعاني الثقافية التي تتسلل إلى الوعي الجمعي والهوية الفردية دون مقاومة واضحة، حيث تُعيد تشكيل طريقة التفكير، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، وتعريفات النجاح والحرية والذات. وبذلك يصبح الغزو الثقافي عملية ثقافية-نفسية شاملة تعيد صياغة الوجدان والتفضيلات والسلوكيات، وغالبًا ما تُحدث تحولات جذرية في القيم لدى الفئات الأكثر تعرضًا للفضاءات الرقمية، وعلى رأسها المرأة والشباب.

خطورة الغزو الثقافي على هوية المراة المسلمة:

تتجلى خطورة الغزو الثقافي في عصر العولمة في قدرته على عبر الحدود الثقافية، فتصبح الهوية المحلية عرضة للذوبان أو التآكل التدريجي أمام تدفق ثقافي موحد عابر للحدود. فالعولمة لا تكتفي بنقل المنتجات والأفكار، بل تعمل على إعادة تعريف الواقع الثقافي بتكريس نمط الحياة الغربي بوصفه النموذج الأرقى، وهو ما ينعكس على الأذواق والقيم والممارسات اليومية. ومع اتساع النفاذ الرقمي، تتحول المجتمعات تدريجيًا إلى مستهلك للثقافة العالمية بدلاً من أن تكون منتجًا لها، ما يجعل الغزو الثقافي جزءًا أصيلًا من ديناميات العولمة الحديثة.

فلم يعد مفهوم الغزو الثقافي في ضوء العولمة مجرد محاولة خارجية لفرض ثقافة ما على أخرى، بل أصبح نتيجة طبيعية لهيمنة مراكز القوة الإعلامية والاقتصادية التي تُعيد تشكيل وعي الأفراد بطرائق ناعمة ومتدرجة. وهو ما يستدعي مزيدًا من الوعي النقدي، وحماية الهوية.

اشكال الغزو الثقافي الموجّه نحو المرأة:

مارس الغزو الثقافي الموجَّه نحو المرأة المسلمة عبر مجموعة من الآليات المتشابكة التي تستهدف بنية الوعي والقيم والسلوك، وتعمل بطرائق مباشرة وغير مباشرة لإعادة تشكيل صورة المرأة ودورها في المجتمع. ومنها:

1. الإعلام التقليدي الذي يقدّم نماذج أنثوية مبنية على معايير جمالية غربية، ويُغرس عبرها تصور موحّد للجسد والأنوثة، بحيث تصبح المرأة أكثر عرضة للشعور بالنقص والاغتراب عن قيمها الأصيلة.
2. المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي والتي تلعب دورًا محوريًا في خلق بيئة ثقافية ضاغطة تُشرعن تقليد أنماط الحياة الغربية، وتُسهم في ترسيخ ثقافة الفردانية والاستهلاك والترويج لخطابات نسوية متطرفة لا تتناغم مع الخصوصية الإسلامية.
3. التعليم غير الرسمي الذي تقدمه البرامج الترفيهية والمسلسلات والأفلام الأجنبية، إذ تعمل على إعادة تعريف الأسرة، والعلاقة بين الرجل والمرأة، وتطبيع أنماط سلوكية تتعارض مع قيم الحياء والالتزام الأخلاقي.
4. الاستراتيجيات الناعمة مثل التأثير عبر المشاهير والمؤثرات اللواتي يُروّجن لأساليب عيش بعيدة عن قيم المجتمع، ما يجعل الفتيات أكثر حساسية للمعايير الثقافية المستوردة.
5. المحتوى الإعلاني الذي يدفع المرأة نحو أدوار استهلاكية سطحية، ويركّز على الموضة والجسد بوصفها المحدد الرئيس لهويتها، بما يؤدي إلى إضعاف قيم الإنتاج والتعلم والإبداع لديها.
6. آلية إعادة تشكيل المفاهيم بطرح تعريفات جديدة للحرية، والتمكين، والنجاح، تُفصل المرأة عن انتمائها الديني والثقافي، وتدفعها لتبني نموذج ثقافي بديل يقوم على الاستقلال الانفصالي، ونزع القدسية عن العلاقات الأسرية، والتشكيك في المرجعيات الدينية.

خطورة اشكال الغزو الثقافي الموجه ضد المراة:

ان الخطورة الحقيقية لهذه الآليات تكمن في أنها تعمل بشكل تدريجي ومتراكم، ما يجعل المرأة تواجه تحديًا في الحفاظ على توازن هويتها في ظل تدفق ثقافي سريع ومؤثر. كما أن طبيعتها الخفية والناعمة تجعل مقاومة تأثيرها أكثر تعقيدًا، إذ لا تُمارس عبر القوة المباشرة، بل عبر الإقناع، والتكرار، وتطبيع الأفكار، وهو ما يتطلب وعيًا نقديًا نفسيًا وثقافيًا يحمي المرأة من الانجراف خلف القوالب الثقافية الوافدة التي تحاول إعادة إنتاج دورها وشخصيتها بعيدًا عن قيمها الأصيلة.

هوية المرأة المسلمة في مواجهة الغزو الثقافي:

تواجه الهوية لدى المرأة المسلمة تحدّيات غير مسبوقة في عالم يتسم بالتسارع التكنولوجي والانفتاح الثقافي وتحوّل أنماط الحياة بشكل جذري، وهو ما يجعل عملية الحفاظ على توازن الهوية مهمة معقدة تتطلب وعيًا ذاتيًا وثقافيًا مستمرًا. فالمرأة المسلمة تعيش اليوم بين فضاءات متعددة ومتداخلة؛ فهي جزء من مجتمع محلي له قيمه الراسخة، وفي الوقت نفسه منخرطة في عالم رقمي عابر للحدود ينقل إليها نماذج وأنماط حياة قد لا تتوافق مع خصائص الهوية الإسلامية.

ان تعدد مصادر التأثير يخلق حالة من التفاعل الديناميكي بين الثابت والمتغير، اذ تسعى المرأة إلى التوفيق بين متطلبات الحداثة ومقتضيات الأصالة، وبين حاجتها للتطور الشخصي والمهني وبين حفاظها على القيم التي تُعطي لحياتها معنى.

وتتجسد هوية المرأة المسلمة اليوم في ثلاثة أبعاد رئيسة: **البعد الديني القيمي** الذي يُشكّل الأساس الأخلاقي للسلوك، **والبعد الاجتماعي الثقافي** الذي يعكس دورها داخل الأسرة والمجتمع، **والبعد الذاتي الفردي** الذي يعبر عن طموحاتها وقدرتها على اتخاذ القرارات. ومع الضغوط التي تتعرض لها المراة المسلمة، من الإعلام ووسائل التواصل اللذان يعملان على اعادة تشكيل التطلعات الشخصية برفع سقف التوقعات حول النجاح، الجمال، الاستقلال، والحرية، بينما تستمر الأسرة والمجتمع في تشكيل جزء مهم من التكوين القيمي للمرأة. هذا التناقض بين الرسائل المتدفقة قد يقود إلى ازدواجية الهوية أو إلى حالة من الارتباك الهويّاتي، خاصة عندما تجد المرأة نفسها مطالَبة بالتماهي مع نماذج عولمية معروضة بوصفها معيارًا عالميًا للحداثة.

ومع ذلك، فإن الهوية لدى المرأة المسلمة ليست هوية جامدة، بل هي هوية مرنة تمتلك القدرة على التكيف والاندماج دون التفريط بالثوابت، فالمرأة قادرة على إعادة بناء ذاتها بما يسمح لها بالجمع بين الأصالة والانفتاح الواعي. فهي تُعيد تفسير القيم بما يتناسب مع العصر دون أن تفقد جذورها، وتستخدم أدوات الحداثة —كالتعليم المتقدم، والفضاءات الرقمية، والعمل المهني— لتعزيز حضورها الإيجابي في المجتمع. ومن هنا تصبح الهوية الإسلامية إطارًا موجّهًا لا يقف ضد التغيير، بل يُرشِده ويُعيد مواءمته بحيث يحقق للمرأة توازنًا نفسيًا وثقافيًا في عالم مفتوح ومتقلب.

هوية المراة المسلمة في مواجهة الغزو الثقافي:

في ظل الانفتاح الإعلامي والرقمي المتسارع، تتعرض المرأة المسلمة يوميًا لفيض من الرسائل الثقافية الوافدة التي تُعيد تعريف مفاهيم الحرية، والجمال، والنجاح، والدور الأسري والمهني، مما يخلق حالة من الضغط النفسي والاجتماعي على البنية الهويّاتية، ويجعلها أكثر عرضة للتشتت والانقسام بين الانتماء الأصلي والنموذج الثقافي المفروض عالميًا. ويُسهم هذا التدفق الثقافي غير المنظم في زعزعة الثوابت الدينية والقيمية بتقديم نماذج أنثوية تعكس منظومة فكرية مختلفة جذريًا عن مرجعيات المرأة المسلمة، سواء في نظرتها لذاتها أو لوظيفتها الإنسانية والاجتماعية.

ويظهر أثر الغزو الثقافي بشكل أوضح في تشكيل الأدوار الجندرية، اذ يتم تصوير الدور الأسري بوصفه قيدًا، وتقديم الاستقلال الفردي بوصفه معيارًا وحيدًا لتمكين المرأة، بينما تُهمّش القيم التي تمنح المرأة توازنًا داخليًا وانسجامًا مع تكوينها الثقافي والديني. هذا الضغط يؤدي في كثير من الأحيان إلى صراع الهوية الذي تعيشه الفتاة أو المرأة الشابة عندما تجد نفسها ممزقة بين توقعات المجتمع المحلي ومغريات الثقافة الرقمية العالمية، ما يُضعف قدرتها على اتخاذ قرارات مستقرة، ويزيد من احتمالية تبنيها سلوكيات أو قناعات تتعارض مع قيمها الأصيلة.

ان الغزو الثقافي يسهم في بروز مشاعر الاغتراب النفسي، وفقدان الانتماء، والتشكيك في المرجعيات الدينية والقيمية، خصوصًا عندما يُصوَّر الالتزام الأخلاقي بوصفه تخلفًا أو انغلاقًا.

غير ان ذلك لا تعني أن الهوية لدى المرأة المسلمة هشّة بطبيعتها، بل تعني أنها تواجه اختبارًا معقدًا يتطلب وعيًا نقديًا وإطارًا إرشاديًا يدعم قدرتها على فهم ما تتعرض له وتمييز المفاهيم الأصيلة من الوافدة.

ان التحدي الحقيقي لا يكمن في وجود الغزو الثقافي بحد ذاته، بل في ضعف الأدوات النفسية والتربوية التي تساعد المرأة على قراءته وتحليله وتحديد موقفها منه.

المبحث الثالث / النتائج والتوصيات والمقترحات

نتائج البحث: توصل البحث للنتائج الاتي:

1. أن الغزو الثقافي المعاصر، بآلياته الإعلامية والرقمية، يشكّل تحديًا جوهريًا لهوية المرأة المسلمة، اذ يسعى لإعادة تعريف صورتها وأدوارها وقيمها وفق نموذج حضاري مغاير للمرجعية الإسلامية.
2. يتجلّى التحدي حول هوية المراة المسلمة في صراعات قيمية، واضطراب في صورة الجسد والأنوثة، وتفكك في الأدوار الأسرية والاجتماعية، بما قد يقود إلى أزمات هوية وقلق نفسي وانخفاض في تقدير الذات.
3. ضرورة تحصين المراة للمحافظة على هويتها باستعمال خطاب وعظي عام حول "خطر الغزو الثقافي".

التوصيات :

1. التركيز على الفروق بين الفئات العمرية (مراهقات – شابات – نساء عاملات) لمعرفة كيف تتشكل الهوية في كل مرحلة.
2. دراسة العلاقة بين الغزو الثقافي والمتغيرات النفسية الأخرى مثل: تقدير الذات، الصمود النفسي، الانتماء الاجتماعي، الذكاء الثقافي.
3. إدراج وحدات دراسية حول "الوعي الثقافي" و"إدارة الهوية الرقمية" في المناهج المدرسية والجامعية.
4. تدريب الكوادر التعليمية على اكتشاف مظاهر ضعف الهوية الثقافية لدى الطالبات والتدخل المبكر.
5. إقامة أنشطة تعزز الهوية الإسلامية مثل نوادي القراءة، ملتقيات المرأة المسلمة، مسابقات الهوية الثقافية.
6. مراقبة المحتوى الرقمي الذي تتعرض له الطالبات وتوجيههن نحو مصادر موثوقة تراعي القيم الإسلامية.
7. تشجيع الفتيات على المشاركة في الأنشطة الدينية والثقافية التي تُعزّز الانتماء.
8. مراقبة المحتوى الإعلامي والرقمي وتقديم بدائل تربوية إسلامية إيجابية.
9. تعزيز الثقة بالنفس لدى الفتاة المسلمة مما يقلل من احتمالية تأثرها بالثقافة السلبية الوافدة.

المقترحات:

1. اقامة حملات توعية للنساء حول مخاطر الغزو الثقافي، خاصة ما يتعلق بمفاهيم الجسد، الحرية، الأدوار الجندرية.
2. إنتاج محتوى إعلامي موازٍ يحترم الهوية الإسلامية (بودكاست – فيديوهات – قصص رقمية).
3. إطلاق مبادرات مجتمعية تعزّز القيم الأخلاقية والإسلامية لدى النساء في المدن والأرياف.
4. إدخال مساقات حول علم النفس الثقافي والهوية الإسلامية في أقسام علم النفس والإرشاد.
5. دراسة تأثير المنصات الرقمية (إنستغرام، تيك توك) على صورة الجسد والهوية لدى المرأة المسلمة.

6. بحث العلاقة بين الغزو الثقافي ومؤشرات الصحة النفسية (القلق – الاغتراب – التفكك القيمي).
7. دراسة مقارنة بين دول عربية مختلفة لمعرفة اختلاف مستوى التأثر الثقافي.

المصادر

- **القران الكريم**
- انتصار عدنان العواد (2024). أزمة الهوية الثقافية للمرأة المسلمة في ظل العولمة، مجلة آداب البصرة، العدد 108، ملحق خاص بالمؤتمر العلمي النسوي السنوي "المرأة وتحديات العولمة"، ص 135–136 وما بعدها.
- كاظم حبيب حمد، فاطمة حيدر نعمة (2025). العولمة الثقافية وتحديات الهوية الثقافية في المجتمع العراقي بعد عام 2003، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلد 28، عدد 1، ص 87–89.
- مرسي، منى مصطفى فرغلي (2019). فعالية الإرشاد النفسي البنائي في تخفيف أزمة الهوية لدى طالبات جامعة القصيم (دراسة وصفية – شبه تجريبية)، مجلة "التربية – الأزهر"، المجلد 38، العدد 182 ج3، ص 159–217.
- عبد الكريم بكّار. الهوية... كيف نحميها؟ دار القلم.
- مالك بن نبي. مشكلة الثقافة. دار الفكر.
- محمد عبد الرحمن العيسوي. مبادئ الإرشاد النفسي والتربوي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان.